لكن سامي يفيق الى فجيعة الواقع ، ويرى ان بحيرة الاخضرار احتلها تنين امتص رحيقها ومنع ماءها عن ري الحقول فحالت الارض يبابا وماتت قدرة الينبوع علـــى منح الحياة . يقول :

ايه يا بحيرة الاخضرار .. يا حديقة الوجد المزهرة .. اي اعصار بدوحك مر ؟ اي تنين بنبعك يا غدائر العنبر سكن ! أي لبناي ... لبناي الضائعة ..

ويرتد مجددا الى الماضي السعيد عساه ينسى في دفئه مأساة واقعه . وتغدو لبنى هي الالهة الام الكبرى عشتروت ، وهو تموز ابنها وعروسها الذي يجسد رغبة دفينة تسكن لاوعي كل انسان ، بالتوق الى الام واخصابها . ويتم الانبعاث حين تنزل عشتروت الى العالم السفلي للبحث عن تموز بعد موته ، فتمنحه الحياة وتعود به الى العالم . فتكون أما تمنح الحياة ، وتكون رمزا للارض التي يتوق الانسان الى الفناء فيها ليكتسب بالموت حياة جديدة . من هنا كانت لبنى رمزا لارض فلسطين : فلسطين الام معطية الحياة ، وفلسطين العروس زوج الفـــارس المخلص الذي يخصب بالعشق الارض . والعشق صورة اخرى للموت: فكما ان ذات العاشق تفنى في ذات المعشوق لتولد عوالم جديدة ، يكتسب العائد الى رحم الارض بانحلال جسده في ترابها انبعاثا وحياة جديدة . وكذلك فان لبنى هي العذراء مريم ـــ المساوية رمـــزيا لعشتروت ـــ لانها تحمـــل في أحشائها مسيحا فاديا ومخلصا يزيح اسباب الظلام ويمنح الارض حياة ابدية . وليس ما تحمله الارض في أحشائها سوى طاقات الثورة في قلوب ابنائها ، الفرسان الابطال ، الذين يقتلون التنين المسيطر ويعودون بالارض الى حالتها العدنية الاولى : صبية بكرا . يقول :

هكذا رحت اصلي لها بعد أن عرفتها .. لعشتروت . عشتروت الصغيرة الساذجة ! عشتروت الحمامة .. عشتروت الام .. وعندما كانت بشهور حملها الاولى .. (مبتسما بسعادة) جميل ذلك .. لبنى .. (معبرا) لبنى حامل !.. (ضاحكا) كدت اجن .. تلك الالهة الصغيرة .. حامل .. اله صغير يلجأ برفق الي.. الي.. كانت تبعدني عنها خجلة .. (راكعا) الى أن ركعت على قدميها الحافيتين تينك القدمين الجميلتين .. قدمي عشتروت الصغيرة .. عشتروت الام .. المبللتين بقطرات الفرحة من دموع سعادتي . (ناهضا بحماس) كالظل بقيت اجلس عند قدميها .. تلك الشهور من حملها .. كنت لا أفارقها .. والدة الاله ..

وتوقظ صورة لبنى في لاوعيه صورة أمه حين كانت حبلى بـــه ، ويفيق الى مأساة ولادته . ولعل سامي عاش مأساة ولادته مضاعفة : فالولادة مأساة كل انسان لانها انفصال عن رحم الام التي يظل الانسان توقا الى العودة اليـــه ، وهي صورة اخرى لسقوط الانسان من الفردوس . لكن ام سامي وضعته في المرحاض قبل موعد ولادته بسبب رعبها من الطائرات قاذفات القنابل . فيغدو هذا العالم كله مرحاضا ، ويكون الصهاينة الذين أشعلوا تلك الحرب صورة للحية الخادعة التـــي كانت علة سقـــوط الانسان . يقول :

لا بد وانها ليلة من الافلاس ، تلك تمخضت عني ! (بصمت .. ثم بسخرية) هه .. في المرحاض ! مسكينة أمي .. ألم تجد غير المرحاض تسقطني فيه ؟ (بيأس) يا للتعاسة ! هل ضاقت بها الدنيا ! في المرحاض !؟ (بغضب) ولكن ثمة مبرر لم يكف لها ! انها تلك الطائرات المفترسة .. انها هي التي ولدتني في المرحاض ، وهي تلد الجنون بعينه ، مع مئات القنابل .. والتي كانت تصبها تلك الليلة علـــى هذه المدينة .. ودون انقطاع !.... ولكن .. أليس هو الافلاس بعينه ؟ افلاس العقل ! افلاس العالم من كل قيمه الاخلاقية ! بل افلاس الانسانية بأسرها !؟ ... يا للتعاسة .. انني لا استطيع تصور ذلك ! ولكنها الحقيقة .. والبرهان على ذلك ، انني ولدت في المرحاض ! (بسخرية) الحرب .. الحرب من أجل الحياة الافضل ! هه .. من أجل ان تضعني أمي في المرحاض ! وقبل أن يحين مع ذلك موعدي ! أجل . من اجل ان تكون المراحيض مهود ولادة البشرية ! ولماذا ؟ لكي أحيا حياة أفضل !